

على منابر دمشق الجزء الأول
الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

يمكن الحصول على هذا الكتاب من
دار أفنان : سورية- دمشق- ركن الدين هاتف : 2775493

أو من موقع الشيخ الطبيب محمد خير الشعال على الإنترنت
:

www.dr-shaal.com

بسم الله الرحمن الرحيم

النظافة

قال تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول}

{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}

قال صلى الله عليه و سلم: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبّهوا باليهود»⁽¹⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «استاكوا وتنظفوا وأوتروا فإن الله عز وجل وتر يحب الوتر»⁽²⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «الإسلام نظيف فتنظفوا، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف»⁽³⁾.

— جاء شهر الصيف: كثرة ارتفاع الحرارة، كثرة التعرق، الخروج إلى التزهات، زيارة الأصدقاء، لقاء الناس تناول مختلف المشروبات والمأكولات، كثرة الأمراض.

ولأن المسلم نظيف العقيدة.

ولأن المسلم نظيف الفكر، والأخلاق.

كان لا بد له أن يكون نظيف الجسد، نظيف اللباس لأن نظافة الظاهر عنوان نظافة الباطن.

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أنظف خلق الله بدنًا وأنقاهم ثوبًا.

يصفه من رآه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أنور المتجرد ويقول: رأيت النبي صلى

(1) الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في النظافة، رقم الحديث (2723).

(2) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد الأول، باب حرف الألف، رقم الحديث (967).

(3) مجمع الزوائد، للحافظ الهيثمي، المجلد الخامس / 22 كتاب اللباس، 18 باب النظافة، رقم الحديث (8579).

الله عليه و سلم وعليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بريق ساقيه.

ويقول أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي صلى الله عليه و سلم ولا شمتت ريحاً قط أو عرفاً أطيب من ريح النبي صلى الله عليه و سلم.

وعن أبي قرصافة قال: لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا وأمي وخالتي ورجعنا من عنده منصرفين، قالت لي أمي وخالتي: (يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل ولا أحسن منه وجهاً، ولا أنقى ثوباً، ولا ألين كلاماً، ورأينا النور يخرج من فيه).

وعن جابر بن سمرة قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظرُ إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسنُ من القمر)⁽⁴⁾.

وهكذا فقد كان صلى الله عليه و سلم أنظفَ خلق الله وحثَّ المسلمين بعده على النظافة، وعلمهم أن النظافة ركنٌ ركين من أركان هذا الدين، وعلمهم أن الإسلام نظيفٌ وأن المسلم نظيف.

نظيفٌ في بدنه، نظيفٌ في ثوبه، نظيف في داره، نظيف في حيّه، نظيف في مسجده.

ومن تعاليم الإسلام ونبيه صلى الله عليه و سلم للنظافة ما يلي:

1— أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلم بالغسل وحذره من تركه.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اغتسلوا يوم الجمعة فإن من اغتسل يوم الجمعة فله كفارة ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام»⁽⁵⁾.

وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»⁽⁶⁾.

وعن عائشة قالت: كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالي، فيأتون في العباءِ ويصيبهم الغبار فتخرج منهم الريح، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم إنساناً منهم وهو عندي فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «لو أنكم تطهروا ليومكم هذا»⁽⁷⁾.

وقد ذهب الإمام أحمد ومالك على فرضية غسل الجمعة وذهب الشافعية والحنفية إلى سنته، لقوله صلى الله عليه و سلم: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل»⁽⁸⁾.

2— حثه صلى الله عليه و سلم على تعهد أطراف البدن بالنظافة وإزالة الأوساخ عنها وأن ذلك من الفطرة الدينية التي جاءت بها جميع الرسالات الإلهية.

(4) الترمذي، رقم (2735) كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال.

(5) الطبراني في الكبير عن أبي أمامة. الجامع الصغير للسيوطي، المجلد 2، تنمة باب حرف الألف، رقم الحديث (1209).

(6) مسلم، رقم الحديث 1397، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال.

(7) مسلم، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، رقم الحديث 1398.

(8) سنن الترمذي، كتاب الجمعة عن رسول الله، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة، رقم الحديث 457.

روى مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»⁽⁹⁾.

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من إهمال ذلك مدة طويلة، ففي سنن أبي داود عن حسن رضي الله عنه قال: (وَقَّتْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ الْإِبْطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا تَتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)⁽¹⁰⁾.

يعني إذا دعت الحاجة إلى الترك ولم يتمكن من الغسل والقص والتقليم في كل أسبوع فلا يجوز له أن يؤخر ذلك أكثر من أربعين ليلة فإنه حينئذ آثم كما نص الفقهاء على ذلك.

3— حثه صلى الله عليه وسلم على التنظف من آثار الطعام والشراب.

عن عبد الله بن بسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَصُّوا أَظْفَارَكُمْ، وَادْفَنُوا قَلَامَاتِكُمْ، وَنَقُوا بَرَاجِمَكُمْ، وَنَظَّفُوا لثَاتِكُمْ مِنَ الطَّعَامِ، وَاسْتَاكُوا، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيَّ قُحْرًا بُخْرًا»⁽¹¹⁾.

ورى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بِرَكَّةِ الطَّعَامِ الْوَضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوَضُوءُ بَعْدَهُ»⁽¹²⁾. والمراد هنا الوضوء اللغوي لا الشرعي.

وإن أحاديث السواك واستخدامه تكاد تعد من الأحاديث المتواترة لكثرتها وكثرة روايتها، ويُعدُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم طب الأسنان أول من استخدم فرشاة أسنان وأمر باستخدامها، وكان صلى الله عليه وسلم يستخدمها فيما أحصيته في أكثر من عشرين مرة باليوم.

فهو صلى الله عليه وسلم ينظف أسنانه مع كل وضوء وينظفها قبل كل صلاة وينظفها إذا دخل بيته وينظفها إذا خرج منه وينظفها إذا استيقظ من الليل مرتين أو أكثر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ فَإِنَّهُ مَطْيِبَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»⁽¹³⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «حَبِّدُوا الْمُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِي»، قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون في الوضوء والمتخللون في الطعام، أما تحليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع وأما تحليل الطعام: فمن الطعام، إنه ليس شيء أشدَّ على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاماً وهو قائم يصلي»⁽¹⁴⁾.

4— حثه صلى الله عليه وسلم على نظافة الثياب.

(9) الجامع الصغير، المجلد 4، باب حرف العين، رقم الحديث 5432.

(10) سنن أبي داود، كتاب الترحل، باب في أخذ الشارب، رقم 3668.

(11) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد 4، باب حرف القاف، رقم 6129.

(12) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد 3، باب حرف الباء، رقم 3140.

(13) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد 4، باب حرف العين، رقم الحديث 5530.

(14) مجمع الزوائد للهيتمي، المجلد الأول، كتاب الطهارة، باب التحليل، رقم الحديث 1199.

عن عمر بن الخطاب، قال صلى الله عليه و سلم: «إن من كرامة المؤمن على الله نقاء ثوبه ورضاه باليسير»⁽¹⁵⁾ أي من أمور الدنيا.

ورأى صلى الله عليه و سلم رجلاً وسخة ثيابه فقال: «أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه؟»⁽¹⁶⁾. وكان صلى الله عليه و سلم ينهى عن تعريض الثياب للوسخ فقد رأى رجلاً يمشي بجر رداءه على الأرض فقال له: «ارفع إزارك فإنه أنقى»⁽¹⁷⁾.

5— حثه صلى الله عليه و سلم على تنظيف البيوت والأفنية والطرق والمساجد والساحات العامة. قال صلى الله عليه و سلم: «نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود». وقال: «عُرِضت عليَّ أعمال أمي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة في المسجد لا تدفن»⁽¹⁸⁾.

وعن عائشة قالت: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ببناء المساجد في الدور وأن تُنظَّف وتُطَيَّب)«⁽¹⁹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»⁽²⁰⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»⁽²¹⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «مَنْ آذَى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»⁽²²⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «مَنْ سَلَّ سَخِيمَةً عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»⁽²³⁾، والسخيمة هي الغائط والنحو.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه و سلم: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له، فغفر الله له».

6— وأخيراً: إن مشروعية الوضوء والغسل اللذين جاء بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم والإسلام لهما أكبر شاهد على أن النظافة هي أصل أصيل في دين الإسلام ويكفي أن نعلم أنه يجب

(15) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد السادس، باب حرف الميم، رقم 8258.

(16) أخرجه أبو نعيم عن جابر.

(17) أخرجه الترمذي، شمائل النبوة.

(18) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد، رقم الحديث 859.

(19) الترمذي، كتاب الجمعة عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في تطيب المساجد، رقم الحديث 542.

(20) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم الحديث 51.

(21) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد الأول، باب حرف الألف، رقم الحديث 1157.

(22) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد السادس، باب تنمة حرف الميم، رقم الحديث 8264.

(23) كثر العمال للمتقي الهندي، المجلد 9، الإكمال من التنخلي في الطريق والظل، رقم 26491. والسخيمة: الأقدار والأوساخ.

الغسل في الشرع في ستة أحوال (خروج المني، التقاء الختانين، الحيض، النفاس، موت المسلم غير الشهيد، إسلام الكافر).

بينما يسن الغسل في أكثر من عشرين موضعاً، مثل: الغسل في ليلة القدر، لدخول مكة، لصلاة الكسوف والخسوف، لصلاة العيدين، للوقوف بعرفة، لإحرام الحج أو العمرة، لصلاة الاستسقاء، وغيرها.

ويجب الوضوء: للصلاة والطواف ومس القرآن وسجود الشكر والتلاوة ويسن الوضوء لأكثر من خمسة وعشرين أمراً، من أمثال: الوضوء لكل صلاة فهو نور على نور ولمس الكتب الشرعية، ويسن النوم على وضوء، وعقب الاستيقاظ، وبعد ثورة الغضب، وبعد غسل الميت، وغيرها.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء، فإذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب»⁽²⁴⁾.

أيها الأخوة: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم وشرعنا الحنيف يدعوان إلى النظافة على حين أن أماً كانت تعيش مفاخرة بالساخة والقذارة.

ويروي لنا التاريخ عن ذلك غرائب، وروى المؤرخون من ذلك عجائب فحدثوا عن الراهب ماكاروريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقصر جسمه العاري ذباب سام وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد.

وكان صاحبه الراهب يوسيبس يحمل نحو قنطارين من حديد وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نرح. وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر. وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس.

يقول الراهب أهينس: إن الراهب أتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة وقد قال الراهب الاسكندري بعد زمن متلهفاً: وأسفاه!! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات!..

هكذا الإنسان بدين مزور وبغير دين، يرتع في الجهل والتخلف والقدر بينما هو يسمو في العلم والتقدم والنظافة في الإسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على

(24) مسلم، رقم الحديث 360، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، رقم 26491 .

النظافة، ولن يدخل الجنة إلا كلٌ نظيفٌ»⁽²⁵⁾.

(25) الجامع الصغير، السيوطي، المجلد الثالث، باب حرف التاء، رقم الحديث 3369 .

بضاعة المغفرة

قال تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين* الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين* والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين} (26).

أيها الناس:

إن من الأسباب المؤدية للمغفرة:

(1) الصلاة:

قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي بعدها كفارة لما بينهما» (27).
قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلّي ركعتين ثم يستغفر الله تعالى لذلك الذنب إلا غُفِرَ له . وقرأ هاتين الآيتين:

{ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً}

{والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلى الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون}» (28).

وروي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله إني أصبت حدّاً فأقمه علي، فقال: توضأت حين أقبلت؟ قال: نعم، قال: هل صليت معنا حين صلينا؟ قال: نعم، قال: اذهب فإن الله قد عفا عنك» (29).

(2) الصوم:

قال صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» (30).
قال صلى الله عليه وسلم: «لا يصوم عبداً يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفاً» (31).

(3) الصدقة:

(26) آل عمران، 136.

(27) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي هريرة /7089/.

(28) مسند أحمد كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، باب مسند أبي بكر الصديق رقم /48/ عن أبي بكر.

(29) أبو داود، كتاب الحدود، باب في الرجل يعترف بحد ولا يسميه /4381/ عن أبي أمامة.

(30) البخاري، كتاب الإيمان، عن أبي هريرة /38/ باب صوم رمضان احتساباً.

(31) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري /10826/ عن أبي سعيد.

فعن أبي أمامة رفعه: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب»⁽³²⁾.
وعن عدي بن حاتم رفعه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»⁽³³⁾.
قال تعالى: {الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين}⁽³⁴⁾.

(4) العفو عن الناس:

{وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}

{والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين}

— الصفة التي تعامل بها الخلق يعاملك بها الحق.

روي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصفحة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضرها فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى {والكاظمين الغيظ}.

وإذا غضبت فكن عفوًا كاظمًا

للغيظ تُبصِر ما تقول وتسمع

فكفى به شرفًا تصبر ساعة

يرضى بما عنك الإله وترفع

(5) المرض والنوائب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يُهمَّهُ إلا كُفِّر به من سيئاته»⁽³⁵⁾.

عن عبد الله بن مسعود، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يُصيبه أذى مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله له سيئاته كما تحطُّ الشجرة ورقها»⁽³⁶⁾.

قال صلى الله عليه وسلم: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»⁽³⁷⁾.

(32) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج8، ص261، /7014/.

(33) البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، /6195/.

(34) آل عمران، 136.

(35) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، /2573/.

(36) البخاري، كتاب المرض، باب وضع اليد على المريض، /533/.

(37) الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء، عن أبي هريرة /2399/.

(6) التوبة النصوح:

إقلاع عن الذنب، والندم عليه، والعزم على عدم العودة كما أن اللبن لا يعود إلى الضرع فكذلك لا يعود إلى الذنب.

قال تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى}.

وقال تعالى: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار}.

وإن الله عز وجل يحب التوابين ويحب المتطهرين.

عن ابن عمر يرفعه: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»⁽³⁸⁾.

وعن أبي موسى يرفعه: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»⁽³⁹⁾.

وعن أبي هريرة يرفعه: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»⁽⁴⁰⁾.

ويروي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائة.

ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضٌ سوء. فانطلق حتى إذا نصَّفَ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فيلما كان أدنى فهو له. فقاوسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»⁽⁴¹⁾.

جاء في الأثر: يقول الله تعالى: «عبدني: متى جئتني قبلتك. إن أتيتني ليلاً قبلتك، وإن أتيتني نهاراً قبلتك، وإن تقربت مني شبراً تقربت منك ذراعاً، وإن تقربت مني ذراعاً تقربت منك باعاً، وإن

(38) الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل التوبة والاستغفار، عن ابن عمر/3537.

(39) مسلم، باب قبول التوبة من الذنوب، /2759.

(40) مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، /2749.

(41) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، عن أبي سعيد الخدري، /2766.

مشيت إلى هرولت إليك، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقراها مغفرة، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ومن أعظم مني جوداً وكرماً.

عبادي يبارزونني بالعظام، وأنا أكلؤهم على فرشهم، إني والجن والإنس في نبأ عظيم: أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي.

من أقبل إلي تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد، ومن أراد رضاي أردت ما يريد، ومن تصرف بحولي وقوتي ألت له الحديد.

أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي.

وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أفنطهم من رحمتي: إن تابوا فأنا حبيبهم فإن أحب التوايين وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاييب.

من أثرني على سواي آثرته على سواه.

الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عندي بواحدة، فإن ندم عليها واستغفرتني غفرتها له.

أشكرُ اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبي، وأنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»⁽⁴²⁾.

أيها المسلمون:

هذه هي المغفرة، وهذه هي بضاعتها، وهذا هو العشر الثاني من رمضان عشر المغفرة، فلنبادر إليها عسى الله أن يغفر لنا ذنوبنا ويكفر عنا سيئاتنا ويجعلنا مع الأبرار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم

قال تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي* يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً}.

وسمى الله في القرآن الكريم سورة باسم محمد.. وسورة باسم طه.. وسورة باسم يس.. وسورة باسم المزمّل.. وأخرى المدثر.. وكلها من أسماء رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من صلى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى عليّ عشراً صلى الله عليه مائة، ومن صلى عليّ مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق، وبرائة من النار، وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء»⁽⁴³⁾.

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من صلى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطَّت عنه عشر خطيئات، ورُفِعَتْ له عشر درجات»⁽⁴⁴⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل عليّ»⁽⁴⁵⁾.

وجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم والبشر يُرى في وجهه فقال: «إنه جاءني جبريل عليه السلام، فقال: أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحدٌ من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً؟»⁽⁴⁶⁾.

أيها المؤمنون:

عُرِفَتْ بلادُ الشام منذ زمن بعيد بحبِّ رسول الله صلى الله عليه و سلم أكثر مما عرفت به غيرها من البلدان.

فأصابتها بذلك دعوة رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث مرات «اللهم بارك لنا في شامنا». وعُرِفَتْ دمشق الشام منذ زمن بعيد بحبِّ رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأهل الشام يحبون النبي صلى الله عليه و سلم. فترى أحدهم إذا جاءه مولود عمل مولداً للنبي صلى الله عليه و سلم وتراه إذا نَحَّح ولده عمل مولداً للنبي صلى الله عليه و سلم، وتراه إذا ربحت تجارته عمل مولداً للنبي صلى الله عليه و سلم، وتراه إذا شفى الله مريضه عمل مولداً للنبي صلى الله عليه و سلم، و... و... و... ترى كبيرهم إذا جلس في بيته عدَّ وِرداً مائة مرة أو ألف مرة بالصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم. ترى شيخهم له حالٌ خاص مع النبي صلى الله عليه و سلم لكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم.

(43) مجمع الزوائد للهيتمي، المجلد 10، كتاب الأدعية، باب الصلاة على النبي، رقم الحديث 17298 .

(44) النسائي، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي، رقم 1280 .

(45) مسند أحمد، مسند أهل البيت، حديث الحسين بن علي، رقم الحديث 1645 .

(46) سنن النسائي، رقم الحديث 1278، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي p.

ترى شباهم إذا قام يغني في الطرقات صلى على النبي صلى الله عليه و سلم فقال: (صلوا على محمد مكحول العين). فأهل الشام يجوبون رسول الله صلى الله عليه و سلم ويكثرون من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم، ورسول الله صلى الله عليه و سلم يجبههم ويكثر من السلام عليهم، بل وزيارتهم، وإليك الأدلة:

كان أحد تجار حلب في زيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم، وكان يحب النبي صلى الله عليه و سلم ويكثر من الصلاة عليه، أتى قبر النبي صلى الله عليه و سلم وسلم عليه وصلى عليه وراح يبكي من حبه، وفي ليلته تلك رأى في نومه رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله علمني صلاة تحبها أصلي عليك بها.

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: اذهب إلى الشام.. إلى ابني الشيخ الفلاني — وسماه له — وقل له: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يسلم عليك، وقل له: علمني كيف تصلي على رسول الله كل يوم ألف مرة، فإن رسول الله يحب هذه الصلاة.

عاد التاجر الحلبي إلى البلد.. وأتى دمشق الشام وهو لا يعرف هذا الشيخ فسأل عنه حتى وصل.. فلما بلغه قال له: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يسلم عليك ويقول لك: علمني هذه الصلاة التي تصلي بها عليه كل يوم ألف مرة.. فبكى الشيخ.. وقال: والله يا ولدي ما أعلم بصلاتي هذه إلا أهل بيتي فأنا لم أحدث بها أحد.

إني أصلي على النبي صلى الله عليه و سلم كل يوم ألف مرة فأقول: "اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب وعلى آله وصحبه وسلم".

وأعرف شاباً من شباب الشام يحب رسول الله صلى الله عليه و سلم ويكثر من الصلاة عليه في كل يوم وفي كل حال؛

إذا مشى في طريقه صلى على رسول الله.

إذا جلس صلى على رسول الله.

إذا دخل داره صلى على رسول الله.

مرضَ هذا الشاب، واشتد وجعه.. وفي الطب لا يكون الشفاء بين عشية وضحاها.. بل لا بد من أيام وربما أسابيع وربما أشهر..

أما عند ربّ الطب عند رب العالمين فالشفاء بلحظة، بل أقل من لحظة، {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون}..

تعب هذا الشاب من وجعه ومن الدواء، فجلس يوماً في سريره، وصلى على النبي صلى الله عليه و سلم وورده المعتاد، ثم قال:

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه إلى ربك بك في حاجتي لتقضى

وفي جسمي ليشفى، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي.

فرأى الشاب النبي صلى الله عليه وسلم في نومه يدخل الغرفة عليه، فبكى.. قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما بك؟ قال: يا رسول وجع في جسمي. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره، وقال: لا تخف باسم الله، فاستيقظ الشاب، وقام من سريره، وليس به ألم، ولا به وجع، وقد شفاه الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاء رجل أعمى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه قد شق علي ذهاب بصري فادعوا الله لي أن يكشف عيني، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «توضأ ثم صلي ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد.. إني أتوجه إلى ربك بك في حاجتي لتقضى (ثم سم حاجتك)». اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي».

فقام الأعمى فتوضأ فصلى فدعا بالدعاء، فردّ الله عليه بصره..

هكذا يجب أهل الشام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منهم من يصلي على رسول الله كل يوم مائة مرة.

ومنهم من يصلي على رسول الله كل يوم ألف مرة.

ومنهم من يصلي على رسول الله كل يوم عشرة آلاف مرة.

ومنهم من زاد ومنهم من نقص.

كيف لا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنه قال ربنا: {وإنك لعلی خلق عظیم}.

كيف لا نحب رسول الله وقد قال ربنا: {ومن يطع الرسول فقد أطاع الله}.

كيف لا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كرمه ربنا في القرآن فناده قائلاً: {يا أيها النبي {يا أيها الرسول}.

على حين نادى باقي أنبياءه بأسمائهم فقال: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة}

{يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا}

{يا زكريا إنا نبشرك بغلام}

{يا داود إنا جعلناك في الأرض خليفة}

{وما تلك بيمينك يا موسى}

لكنه عندما نادى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يناده باسمه إجلالاً وتقديراً فقال: {يا أيها النبي} ولم يقل يا محمد!. {يا أيها الرسول} ولم يقل يا أحمد!.

فكيف لا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كيف لا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرن ربنا اسمه باسمه، فقال آدم عليه السلام:

«مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله».

كيف لا نحب رسول الله صلى الله عليه و سلم ونصلي عليه وقد بذل روحه ونفسه لهدايتنا، ولم يدع علينا كما دعا غيره من الأنبياء.

فقد دعا سيدنا نوح عليه السلام على قومه لما عصوه وتركوا دعوته، فقال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً} فأهلك الله قوم نوح بالغرق.

ودعا سيدنا موسى عليه السلام على بني إسرائيل لما عصوه وآذوه فقال: {ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم} فأهلكهم الله.

أما حبيبتنا وسيدتنا محمد صلى الله عليه و سلم، لما آذاه العرب في الطائف وكفروا به وضربوه بالحجارة وسلطوا عليه سفهاءهم ومجانينهم وأطفالهم وأدموا قدميه الشريفتين، راح يمسح الدم عن الأرض ويقول: «أمسحه لأن الله يحسف الأرض التي سالت عليها دماء الأنبياء» وجاء جبريل ومعه ملك الجبال فقال: يا محمد إن معي ملك الجبال، لو شئت فأمرته ليطبق عليهم الأخشبين (الجبيلين).

فماذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم؟. ولو أمره لهلكوا، قال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»⁽⁴⁷⁾. فكنا نحن من أصلابهم، ولولا رسول الله صلى الله عليه و سلم لكنا في عذاب.

ولما وطئ ظهره الشريف في مكة وأدمي وجهه وكسرت رباعيته قال له الصحابة: يا رسول الله ادع عليهم، فأبى أن يقول إلا خيراً. فقال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»⁽⁴⁸⁾. ولو دعا عليهم لأصابتنا الدعوة.

فكيف لا نحب رسول الله؟.

كيف لا نعلم أطفالنا ونساءنا حب رسول الله صلى الله عليه و سلم؟.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمي السلام..» وفي رواية يقول الملك: «فلان بن فلان صلى عليك»⁽⁴⁹⁾.

فما أحلى وما أهنأ وما أجمل من أن يذكر اسمك عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما تصلي عليه.

وعن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أردد عليه السلام»⁽⁵⁰⁾.

(47) أخرج البخاري نحوه مطولاً رقم 2992، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

(48) البخاري، رقم 3218، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

(49) مسند أحمد، رقم الحديث 3993، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود.

(50) سنن أبي داود، رقم الحديث 1745، كتاب المناسك، باب زيارة القبور.

فما أحلى وما أهنأ وما أجمل من أن يسلم عليك رسول الله صلى الله عليه و سلم عندما تصلي وتسلم عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّيْ عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيَقُلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكْثُرَ»⁽⁵¹⁾.

أيها المسلمون.. يا أهل الشام.. أكثروا من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه و سلم ولتعاهد كل واحد منا صغيراً أو كبيراً على وردٍ يقرؤه كل يوم، وعددٍ من الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم في كل يوم لا يقل عن خمسين مرة.

فإن فيها الخير، وفيها البركة، وفيها سعة الرزق، وفيها تفريج الهم، وفيها قضاء الدين، وفيها شفاء المريض بإذن الله..

فهل نستكثر على رسول الله صلى الله عليه و سلم أن نصلي ونسلم عليه كل يوم خمسين مرة، وبأي صيغة شئت وبأي حال أردت..

إن كنت ماشياً في الطريق فعُدّ خمسين.

أو كنت جالساً في تجارتك فعُدّ خمسين.

أو كنت ساهراً مع صديقك فقل له: تعال نصلي على النبي خمسين مرة.

عسى الله أن يصلي علينا وعسى رسول الله أن يصلي علينا، وعسى ملائكة الله أن تصلي علينا {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}..

عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرُوا عَلَيَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةٌ عَلَيَّ. قال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أُرِمْتَ يعني بليت - قال: إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»⁽⁵²⁾.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

(51) مسند أحمد، رقم الحديث 15126، مسند المكين، حديث عامر بن ربيعة.

(52) سنن الدارمي، رقم الحديث 1526، كتاب الصلاة، باب في فضل يوم الجمعة.

الوقت

قال تعالى: {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.

قال صلى الله عليه و سلم: «نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ»⁽⁵³⁾.
وجاء في حديثه الشريف: «اغتنم خمساً قبل خمس:

1— شبابك قبل هرمك.

2— وصحتك قبل سقمك.

3— وغناك قبل فقرك.

4— وفراغك قبل شغلك.

5— وحياتك قبل موتك»⁽⁵⁴⁾.

أيها المسلمون: الحديث اليوم عن مادة مهمة في التربية الإسلامية

مادة فيها فلاح المفلحين وفيها خسارة الخاسرين.

مادة فيها نجاح الناجحين وفيها خيبة الخائبين.

مادة فيها سعادة السعداء وفيها شقاوة الأشقياء.

إنما الوقت، إنما الزمن، إنما العصر.

نعم.. باغتنام الوقت نجح مَنْ نجح، وبضياع الأوقات خاب مَنْ خاب.

بالإفادة من الزمن أفلح المفلحون، وبهدرِ الزمن خسر الخاسرون.

بتنظيم الأوقات واغتنام الأعمار سعد السعداء، وبعدم تنظيمها واغتنامها شقي الأشقياء.

نعم.. إنه الوقت، إنه الزمن، إنه العصر، به أقسم الله عز وجل في قرآنه الكريم، بالزمن والوقت والعصر.

أقسم بالعصر فقال: {والعصر إن الإنسان لفي خسر}.

أقسم بالفجر فقال: {والفجر وليالٍ عشر}.

أقسم بالضحى فقال: {والضحى والليل إذا سجى}.

أقسم بالليل وأقسم بالنهار.

ومعلومٌ لديكم أن الإنسان لا يجوز أن يحلف إلا بالله تعالى أو بأحد أسمائه أو صفاته، لكن لله عزّ وجلّ أن يحلف بما شاء من مخلوقاته.

بيد أن الحالف لا يحلف إلا بعظيم، إلا بذى قيمة، إلا بخطير، ولذلك أقسم ربنا بالعصر والزمن

(53) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، عن ابن عباس، /6049.

(54) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، جزء 7، ص263، عن ابن عباس.

والوقت.

يقول أهل اللغة: إن الأصل في العصر الضغط على شيء حتى يتحلب، فقولك عصرت الثوب أي ضغطت عليه حتى تحلب منه الماء وخرج.

وفي تسمية الزمن والوقت عصرًا إشارةً إلى أن على العاقل أن يضغط وقته ويغتتمه حتى يستخلص منه كل نافع ومفيد.

يقول أصحاب التربية الروحية الأخلاقية الصوفية: إن أول ما يستفيد السالك في طريق الله أن يحافظ على أوقاته من الضياع، وآخر ما يصل إليه في هذه الطريق أنه يحافظ حتى على أنفاسه من أن تخرج بدون ذكر الله تعالى، وبدون فائدة.

نعم، هكذا هو الإسلام حفاظًا على الأوقات واغتنام لها، يدعو إلى التقدم والتطور الدائمين، يروى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال: (من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان يومه شر من أمسه فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان، فالموت خير له)⁽⁵⁵⁾.

وعندما أقسم ربنا بالعصر، قال: إن جميع الناس، {الإنسان} كل الإنسان خاسرون، كلهم لا يفيدون في عصرهم ووقتهم وزمنهم؛ إلا من تخلق بأخلاق أربعة وتحلى بصفات أربع:

— الذين آمنوا.

— وعملوا الصالحات.

— وتواصوا بالحق.

— وتواصوا بالصبر.

إنها إيمان، ثم عمل، ثم أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، ثم صبرٌ على ضغط الوقت وعصره والإفادة منه. من كانت فيه هذه الأربع لم يكن خاسرًا، ومن فقدتها كان خاسرًا، مضيعةً لوقته وزمنه وعصره. أيها المسلمون:

إن الإنسان يوزن في الحياة بميزان اغتنامه لوقته، فكم من الناس عاشوا على هذه الأرض أكلوا وشربوا، وناموا واستيقظوا، تزوجوا وأنجبوا، ثم ماتوا، وليس لهم في ميزان الفضائل والعلم وزن. وكم من أناس عاشوا على هذه الأرض وفعلوا ما فعل أولئك إلا أنهم أضافوا على ذلك قيمًا وفضائل وعلمًا وخيرًا كثيرًا، فكانوا أصحاب وزنٍ كبير ومكانة عالية، ماتت أجسادهم ولم تمت فوائدهم وخيراتهم، لقد عاشت أجسادهم على الأرض خمسين أو ستين أو قل سبعين سنة، لكن أعمالهم وفضائلهم عاشت مئات السنين ومئاتها.

(55) أخرجه البيهقي، كتاب الكبير في الزهد، جزء 2 ص 367، رقم الحديث /987.

لقد كان هؤلاء يفيدون من أوقاتهم حق الاستفادة، ويستثمرونها حق الاستثمار.
وسأنتقل لكم نماذج من اهتمام بعض هؤلاء بالوقت:

(1) الإمام أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة، اسمه يعقوب بن إبراهيم، مات سنة 182هـ، لكن فقهه وعلمه ما زال ماثلاً إلى الآن في أذهان المسلمين وكتبهم ودفاترهم وحياتهم.
قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف، فأتيته أعوده، فوجدته مغمىً عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم، ما تقول في مسألة كذا؟
قلت: يا إمام، وأنت في هذه الحالة؟.

قال: لا بأس بذلك، لعله ينجو به ناج!

هكذا كانوا يستثمرون أوقاتهم، حتى في ساعات الترع وسكرات الموت، لذلك سجل التاريخ أسماءهم.

(2) الفتح ابن خاقان أديبٌ وشاعرٌ عباسي، اتخذه المتوكل وزيراً عنده، وكان الفتح شديد الحرص على وقته.

فتروي عنه الكتب أنه كان يكون بين يدي المتوكل الخليفة العباسي، وكان يخفي في كفه كتاباً، فإذا قام من أمام المتوكل للبول أو للصلاة، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذي يريده، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه، فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة، أخرج الفتح الكتاب من كفه وقرأه في مجلس المتوكل، إلى حين عودته.
هكذا كان هؤلاء الأبطال يفيدون من أوقاتهم وأزمانهم وأعصرهم.

(3) الإمام علاء الدين ابن النفيس، الطبيب المسلم المشهور الذي اكتشف الدورة الدموية هو من وفيات القرن السابع، وما زالت كتبنا ورجالنا تفخر به وبأعماله، قالوا عنه: كان إذا أراد التأليف والتصنيف، توضع له الأقلام مبرية، ويدبر وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ القلم وحَفِيَ، رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم، وكان يكتب — إذا صنف — من صدره، من غير مراجعة للكتب.

ودخل مرة الحمام ليغتسل، وبينما كان يغتسل خرج إلى مكان نزع وارتداء الملابس واستدعى بدواة وقلم وورق، وكتب مقالةً في النبض إلى أن أتمهاها! ثم عاد وأكمل اغتساله!!!.

نعم، هكذا أفاد هؤلاء السادة الفضلاء من أوقاتهم، فسُجِّلت أسماءهم وعلا ذكرهم على مر الأيام.
فأين هؤلاء العلماء من أولئك البطالين الذين يمضون ساعات طويلة في المقاهي أو في الملاهي أو في الملاعب أو خلف شاشات التلفاز والإذاعات.

كم يُؤسف منظر بعض شبابتنا، وهم في الأرقعة يقفون الساعات الطوال كأنهم أعمدة كهرباء أو خشبٌ مُسندة.

كم يُحزن منظر بعض شيوخنا، وهم يمضون الساعات الطوال في المقاهي، ولا علم ولا عمل.
كم يتفطر القلب أسمى من مواقف بعض بنات المسلمين، يضيعون ساعات شبابهم وصباهم خلف
الإذاعات والقنوات الفضائية، في الغناء والرقص والتمثيل.

هل سيُخلد التاريخ أسماء هؤلاء؟!!

هل ستذكر الأيام اسمك مع العلماء العاملين؟، أم ستذكرك مع الرعاع الهمل؟.
هل ستُذكر بعد موتك بما قدمت من خيرٍ لأهلك ومجتمعك ولأمتك وإسلامك، أم سيقولون عاش
ومات ولم يسهم في الخير بسهم، ولم يفتح للعلم باباً.
دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها

فالذكر للإنسان عمر ثاني

أيها الأخوة:

إن شراح الحديث النبوي الشريف يفسرون أحاديثه صلى الله عليه وسلم التي فيها زيادة العمر، بأنها
البركة في الوقت والإفادة الكبيرة من الزمن.
وهذا هو صلى الله عليه وسلم يعيش جسده الشريف ستين سنة تقريباً، لكن تعاليمه ومبادئه، واسمه
بقي آلاف السنين، وسيبقى علماً نبراساً إلى يوم القيامة.
لقد بدّل الأرض وغير التاريخ.

إنها النبوة وإنها مغام الوقت وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول:
«بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا:

فقراً مُنسياً

أو غنىً مطغياً

أو مرضاً مفسداً

أو هرمًا مُقنّداً

أو موتاً مُجهزاً

أو الدجال، فشرُّ غائب يُنتظر

أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» (56).

فلنُفد من أوقاتنا

(56) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، عن أبي هريرة، /2306.

ولنستثمر ساعات أزماننا ولنكن من الفائزين.

وإن المطلوب منك مع الوقت ثلاثة أمور:

1— ألا تستخدم وقتك فيما يضرّك، سواء في دنياك أو في آخرتك.

2— أن تستخدم وقتك فيما ينفعك، فإما أنت في عملٍ يفيد دنياك، أو في عملٍ يفيد آخرتك.

قال صلى الله عليه و سلم: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً» (57).

3— أن تستريح وتلهو وتلعب باعتدالٍ واتزان، كالملح في الطعام لتعود إلى العمل والجد.

قال صلى الله عليه و سلم: «الهوا والعبوا فإني أكره أن يُرى في دينكم غلظة» (58).

وقال صلى الله عليه و سلم: «روحوا القلوب ساعة فساعة» (59).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والحمد لله رب العالمين.

(57) كثر العمال للهندي، المجلد 3، تنمة في فوائد المال والدنيا المحمودة، رقم 6334.

(58) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، جزء 5، ص 247، عن المطلب.

(59) مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة أبو عبد الله القضاعي، جزء 1 ص 393، عن أنس، رقم الحديث /672.

الصيام

{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون* أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ أخر وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون} (60).

أيها الناس:

«قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، شهرٌ جعل الله صيامه فريضةً، وقيامٌ ليله تطوعاً، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخِصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَى فَرِيضَةَ فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَى فَرِيضَةَ فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ.

وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء».

قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم.

فقال صلى الله عليه و سلم: «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر أو على شربة ماء أو مدقة لبن.

وهو شهر أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، وَاسْتَكْتَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصَلْتَيْنِ تَرْضَوْنَ بِمَا رَبَّكُم وَخَصَلْتَيْنِ لَا غِنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تَرْضَوْنَ بِمَا رَبَّكُم: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَ، وَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ.

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً حتى يدخل الجنة» (61).

قال صلى الله عليه و سلم: «سيد الشهور شهرُ رمضان أعظمهما حرمة ذو الحجة» (62).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه و سلم: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ» (63).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك

(60) البقرة: 185.

(61) كثر العمال للمتقي الهندي، المجلد 8، الإكمال من فضل صوم شهر رمضان، رقم الحديث 23714.

(62) مجمع الزوائد، للحافظ المهيمني، المجلد 3، كتاب الصيام، باب في شهور البركة وفضل رمضان، رقم 4775.

(63) مسلم، رقم الحديث 344، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة..

كل ليلة» (64).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها، إن الجنة لتتزين لرمضان من الحول إلى الحول، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق أشجار الجنة فتتنظر الحور إلى ذلك ويقلن: يا رب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا، فما من عبد صام رمضان إلا زوج زوجتين من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله تعالى في كتابه {حور مقصورات في الخيام} وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة ليس فيها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لوناً من الطيب، هذا بكل يومٍ صامه من رمضان، سوى ما عمل من الحسنات» (65).

وقال صلى الله عليه و سلم: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله عز وجل إلا بعّد الله عز وجل بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً» (66).
أيها المسلمون:

هذه هي بعض أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم في فضل الصوم وشهر الصوم، ذلك لأن الله نفحاتٍ في أيام الناس، كان صلى الله عليه و سلم يوصي بالتعرض لها، وإن شهر رمضان من نفحات الله.

والصوم هذا الذي يعظم أجره، وتكثر حسناته، وتزداد أعطياته، إنما هو صوم مخصوص، والصوم الذي أَراده الله، وشرعه الله، وأثاب عليه الله، إنما هو صوم مخصوص.
فليس كلُّ مصلٍ يصلي..

وكذلك ليس كل صائمٍ صائمٌ، فالصوم صومان: صوم الجسد عن المفطرات من طعام وشراب وجماع.

وصوم الروح والأخلاق عن المنكرات، وصوم الجسد كلنا يعرفه وكلنا نستطيعه حتى الأطفال الصغار.

أما صوم الروح والأخلاق فلعله يشق على كثير من المسلمين، فكيف تصوم روحنا وأخلاقنا؟!

1- لا بدّ أن نصوم — نمتنع — عن الكلام البذيء.

قال صلى الله عليه و سلم: «إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث».

2- لا بدّ أن نصوم — نمتنع — عن الجهل.

(64) سنن الترمذي، رقم 618، كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

(65) كثر العمال، الإصدار (40 و1) للمتقي الهندي، المجلد 8، الإكمال من فضل صوم شهر رمضان، رقم الحديث 23715 .

(66) سنن النسائي، كتاب الصيام، باب ثواب من صام يوماً في سبيل الله، رقم الحديث 2216 .

- قال صلى الله عليه و سلم في تنمة الحديث: «ولا يجهل» فرمضان شهر العلم.
- 3— لا بد أن نصوص عن الخصومات والسباب والشتائم.
- قال صلى الله عليه و سلم في تنمة الحديث: «فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم» (67).
- 4— لا بد أن نصوص عن النظر الحرام والكلام الحرام والمال الحرام.
- عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه» (68).
- 5— لا بد أن نصوص عن الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة.
- فقد ورد في الأثر: «خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة» (69).
- 6— لا بد أن نصوص عن تضييع الأوقات فيما لا يفيد.
- قال صلى الله عليه و سلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث» (70).
- 7— لا بد أن نترك الإيقاع بين الناس.
- قال صلى الله عليه و سلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (71).
- 8— لا بد أن نعفو عن كل الناس حتى يعفو الله عنا.
- كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا دخل رمضان أطلق كل أسير.
- 9— لا بد أن نعين المحتاجين والفقراء وكل حسب طاقته.
- كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كريماً جواداً وكان أجود ما يكون في رمضان، كان كالريح المرسلة، لا يرد سائلاً.
- 10— لا بد أن نصلح ما بيننا وبين الخلق حتى يصلح الله ما بيننا وبينه.
- فقد قال تعالى: {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}، وقد قيل: الصفة التي تعامل بها الخلق يعاملك بها الحق.
- وبهذا أيها المسلمون يكون الصائم فينا قد صامت روحه وأخلاقه وصام جسده فنال رضا الله.. وإن

(67) سنن أبي داود، رقم 2016، كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم.

(68) مسند أحمد، رقم 6337، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.

(69) كثر العمال، للهندي، المجلد 8، المبيع والمفسد، رقم الحديث 23813 .

(70) كثر العمال، للهندي، المجلد 8، الفصل الرابع في آداب الصوم والإفطار، رقم الحديث 23864.

(71) البخاري، رقم الحديث 1770، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به.

صام بجسده دون أخلاقه فقد خان الأمانة وضَيِّع كثيراً من فوائد الصوم، فإن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع»⁽⁷²⁾.

وربما كُتِبَ هذا العبدُ عند الله مفطراً.

ربما كُتِبَ المختال مفطراً.

ربما كُتِبَ المغتاب مفطراً.

هو عند الناس صائم لكن العبرة فيما عند الله.

ربما كُتِبَ الغشاش مفطراً.

ربما كُتِبَ عاق الوالدين مفطراً.

ربما كُتِبَ قاطع الرحم مفطراً.

ربما كُتِبَ المتخوم وجاره جائع بالقرب منه وهو يعلم مفطراً.

ربما كُتِبَ تارك الصلاة مفطراً.

ربما كُتِبَ ذو اللسان البذيء مفطراً.

والنبي صلى الله عليه و سلم حذّر من الإفطار في رمضان وجعله مهلكة، فقال صلى الله عليه و سلم: «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصةٍ رخصها الله له لم يقضِ عنه صيامُ الدهر»⁽⁷³⁾.

وأى رخصةٍ للكذاب، وأي رخصةٍ للنمام، الموقع العداوة بين الناس أيها المسلمون.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم عدّ الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر: شهادة ألا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان.

فلنجتهد أيها المسلمون، ليكون صومنا صحيحاً كما يجب الله ويرضاه.

ولنجتهد أيها الصائمون ليكون صومنا كاملاً كما يأمرُ به رسول الله فننجز بسعادة الدنيا والآخرة ونفوز بثواب رمضان.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمس خصال لم تعطها أمة قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون في غيره، ويُزين الله كل يوم جنته ويقول لها: يوشك عبادي الصالحون أن تُلقى عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك ويُغفر لهم في آخر ليلة.

(72) سنن ابن ماجه، رقم 1680، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم.

(73) سنن أبو داود، رقم 2045، كتاب الصوم، باب التغليظ فيمن أفطر عمداً.

قيل: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»⁽⁷⁴⁾.
اللهم بارك لنا في رمضان وتقبل فيه صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وأعنا فيه على الصيام والقيام
وغض البصر وحفظ اللسان.

(74) مسند أحمد، رقم 7576، كتاب باقى مسند المكثرين، مسند أبي هريرة.

ما بعد رمضان

يقول تعالى: { ما يريد الله ليجعلَ عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون }

وقال ربنا: { وما جعل عليكم في الدين من حرج }.

وقال تعالى: { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }.

وقال: { يريد الله أن يُخَفِّفَ عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً }.

وقال: { فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً }.

قال ابن عيينة: أي مع ذلك العسر يُسرّاً آخر، كقوله: [هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين] ولن يغلب عسرٌ يسرين.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بعثتُ بالحنيفية السمحة»⁽⁷⁵⁾ أي السهلة. إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة.

عن ابن عباس قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: «الحنيفية السمحة»⁽⁷⁶⁾.

وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما خيّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا⁽⁷⁷⁾.

أيها المسلمون:

انقضى شهر رمضان، شهر الدين والإسلام والقرآن.

انقضى شهر رمضان، شهر الصلاة والصيام والإيمان.

انقضى شهر رمضان شهر البر والصدقات والإحسان.

انقضى الشهر، لكن الدين لم ينقض.

انتهى الشهر، لكن الصلاة لم تنته، والإيمان لم ينته، والبر والإحسان لم ينته.

فربُّ رمضان هو ربُّ شوال وهو ربُّ سائر الشهور والأزمان.

ولعلَّ التائبين في رمضان كُتِر.. ولعلَّ الراجعين إلى الله في رمضان كُتِر.

غير أن كثيراً منهم يعرفون على أنه إن انتهى رمضان سيعودون إلى ما كانوا عليه من ترك الصلاة والبر والطاعات، يعذرون أنفسهم في ذلك فيقولون: إن الدين صعب.. وإن فرائض الدين كثيرة، وإن

(75) مسند أحمد، رقم 21260، كتاب باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي.

(76) مسند أحمد، رقم 2003، كتاب ومن مسند بني هاشم، باب بداية مسند عبد الله بن عباس.

(77) أصله في البخاري، عن عائشة قالت: (ما خير النبي p بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم) رواه البخاري، رقم 6288،

كتاب الحدود، باب إقامة الحدود.

الالتزام بالشرائع مضيئي.

وقد أخبرني أحدُ المصلين الشباب في رمضان فقال: إنه لا يستطيع الالتزام بعد شهر رمضان كالتزامه في رمضان.. فقلتُ: ولم؟.

قال: لأنه يستطيع أن يصومَ كلَّ يوم بعد رمضان.

ولا يستطيع أن يحضر مجلسَ علم كل يومٍ كما كان يفعل في رمضان.

ولا يستطيع أن يصلي عشرين ركعة من قيام الليل في كل يوم.

ولا يستطيع أن يتصدق بالمال الكثير بعد رمضان.

ولا يستطيع أن يدع أو يترك عمله ليتفرغ للعبادة.

ولا يستطيع أن يعتزل أهله ليتفرغ للطاعة.

ولا يستطيع ولا يستطيع.. ولذلك كله فإنه لن يلتزم بعد رمضان بشرع الله ودينه.

إنَّ أمثالَ هذا الشاب كثيرون أيها الأخوة.

وإنهم يحبون الدين حباً جمًّا، لكنهم وللأسف لا يعرفون دينهم كما ينبغي.

فالدين ليس اعتزالاً للأهل من أجل التفرغ للطاعة.

والدين ليس تركاً للعمل من أجل التفرغ للمساجد.

جاء في الحديث: أن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم سألوا عن عبادة رسول الله صلى

الله عليه و سلم فأخبروا بها، فكأنهم تقالَّوها، فقال أحدهم: أما أنا فسأصوم فلا أفطر، وقال الآخر:

وأنا سأقوم فلا أنام، وقال الآخر: وأنا سأعتزل أهلي.

فعلم رسول الله صلى الله عليه و سلم بخبرهم فخرج إليهم مغضباً، وقال: «أما إني أصوم وأفطر،

وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»⁽⁷⁸⁾.

فالدينُ ليس كثرة تكاليف.

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله.. أرأيت إذا صليت الصلوات

المكتوبات، وصمتُ رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً، أَدْخَلُ

الجنة؟ قال: «نعم»، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئاً⁽⁷⁹⁾.

هذا هو الدين، وهذه هي صورته الطاهرة النَّقيَّة.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب في حجة الوداع

فقال: «اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبةً بما أنفسكم، وأطيعوا

(78) أخرج نحوه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، رقم 2487.

(79) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم 18.

ذا أمركم، تدخلوا الجنة ربكم»⁽⁸⁰⁾.

هذا هو الدين وهذه هي أوامر الواضحة الظاهرة.

وعن أبي هريرة: أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي صلى الله عليه و سلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»⁽⁸¹⁾.
هذا هو الدين أيها الأخوة.

ليس في الدين تعقيد، ليس في الدين كثرة تكاليف، ليس في الدين أسرار.
دين الله سهل ميسر.

أراد الله بنا اليسر ولم يرد بنا العسر. فمن التزم في رمضان، يستطيع أن يتابع التزامه بعد رمضان وليس في الإسلام حرج.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن هذا الدين يسر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه»⁽⁸²⁾.
وقال: «اللهم من ولي أمر أمي شيئاً فشقَّ عليهم اللهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمي شيئاً فرفق بهم فارفق به»⁽⁸³⁾.

هذا هو الإسلام سهل ميسر يستطيع كل إنسان أن يلتزمه ويعتقه، حتى إذا ما رآنا الله ملتزمين بأوامره رزقنا الجنة برحمته.
فلن يُدخِلَ أحداً منا عمله الجنة.

يروى أن الله خلق عبداً في جزيرة وجعله له عيناً للماء يشرب منها كلما أراد، وأخرج له في كل يوم رمانة يأكلها، وكان هذا العبد متفرغاً لطاعة الله بين صلاة ودعاء وأذكار وغيرها يشرب من عين الماء ويأكل من الرمان، وعمّره الله سبعين عاماً، فلما قبضه، وأوقفه بين يديه قال الله للملائكة: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، قال العبد: لا يا رب.. عملت سبعين سنة في طاعتك وأريدها (أي الجنة) بعملتي.

قال الله: إذا زونا لعبدي أعماله، فأتوا بأعماله كأنها الجبال، فوضعوها في كفة الحسنات، ثم قال الله تعالى: يا عبدي أنا أعطيتك من النعم ما تعلم فاحتر نعمة واحدة فزئها مع طاعتك هل أديت شكرها؟! فاختار البصر، فأتت الملائكة بنعمة عين واحدة، ووضعتها في الميزان، فطاشت الحسنات

(80) الجامع الصغير، لجلال الدين السيوطي، المجلد الأول، باب حرف الألف، رقم الحديث 128، قال السيوطي صحيح.

(81) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم 1310 .

(82) سنن النسائي، كتاب الإيمان وشراعه، باب الدين يسر، رقم 4948 .

(83) كثر العمال، الهندي، الجزء الخامس، في لواحق الإمارة والخلافة، رقم الحديث 14969 .

وتطائرت ورجحت نعمة البصر.

فقال الله: ما شكرتني، خذوا عبدي إلى النار، فصار العبد يبكي ويقول: يا رب برحمتك، يا رب برحمتك. فأدخله الله الجنة برحمته.

ونحن أيها المسلمون: لن يُدخِلَ أحدنا عمله الجنة. لكن برحمة الله تدخلنا إياها.. إن التزمنا بما أمرنا..
ووالله لم يأمرنا بمسحيل، ووالله لم يأمرنا بصعب، ووالله لم يأمرنا بكثير.

أكثر على الله أن تصلي له كل يوم خمس صلوات.

أكثر على الله أن تدفع زكاة مالك كل عام 2.5%.

أكثر على الله أن تحتب ما حرم عليك.

أكثر على الله أن تفعل ما أحله لك.

وهو الذي أعطاك وأعطاك، وهو الذي خلقك فسواك، وهو الذي حماك ورعاك، {إنَّ الإنسان لربه
لكنود} (كفور).

ووالله ما فرض الله علينا أمراً إلا مصلحة لنا، وما حرّم علينا أمراً إلا لأنه ضار بنا.

ألا ترى أنه أحل الطيبات.. أحلّ الشراب الطيب، والعصير المفيد، والماء العذب، وحرّم الخبائث،
حرّم الخمر والمسكر لأنه يذهب بالعقل والنخوة والشرف والأخلاق.

أحلّ الزواج لأنه طيب، وحرّم الزنا لأنه خبيث قدر.

أحلّ البيع لأنه طاهر، وحرّم الربا لأنه سيء خبيث.

قال تعالى: {يحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث}.

أيها المسلمون:

هذا هو دين الله وشرع الله ومخطط الله لسعادة الإنسان، فأدوا منه ما استطعتم ولا تمجروه كله.
واعلموا أن من رزقه الله باباً إلى الطاعة فقد فتح الله له باباً إلا الاستقامة والكرامة، فلا يهجره وليؤد
منه ما استطاع.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة يقول لنا فيما استطعتم⁽⁸⁴⁾.

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لا أفهم ولا أحفظ ما تقول أنت، وما
يقوله معاذ بعد الصلاة (أي من أذكار وأوراد) غير أي أقول: اللهم ارزقني الجنة وأعدني من النار.
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «حولهما ندندن»⁽⁸⁵⁾.

(84) مسلم، كتاب الإمارة، باب البيعة، رقم الحديث 3472 .

(85) أخرج نحوه أبو داود في سننه، رقم الحديث 672، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة.

قال صلى الله عليه و سلم: «أخلص دينك يَكْفِيكَ القليل من العمل»⁽⁸⁶⁾. أو كما قال.

(86) الجامع الصغير للسيوطي، المجلد الأول، باب حرف الألف، رقم الحديث 298 .

دعوة إلى الزواج

{ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون}.

تحت عنوان (في أوروبا قلّ الزواج وكثر الإنجاب) كتبت إحدى المجلات تقول: في إحصائية صدرت مؤخراً عن مركز المراقبة الديموجرافية الأوروبية في باريس، وجد أن هناك عزوفاً عن الزواج الشرعي في الدول الأوربيّة الـ46 وفي نفس الوقت ارتفاعاً في معدلات الإنجاب غير الشرعي.

قال مايكل أرجيل الأستاذ في جامعة أكسفورد: إن الزواج هو أهم ضمان للحصول على السعادة، بعد دراسة استمرت 11 عاماً أوضح أن العلاقات التي تقام خارج نطاق الزواج علاقات خارجية لا تجلب السعادة بل تجلب أضراراً على الزواج.

نادى الحكماء من الأمريكيان وبعض أصحاب الأقلام مطالبين بالحد من الحرية التي أصبحت وبالاً على الأمريكيين، لقد أصبح الزواج موضة قديمة في أمريكا وأوروبا، وأصبح الشباب يفضل أن يعيش مع فتاة يجلبها دون زواج ودون أولاد، فالأولاد يمتصون وقت الزوجين وجهدهم.

وهكذا أيها الأخوة، تصدر عشرات الإحصاءات، وتُعنون عشرات الصحف والمجلات، وتُقدّم مئات الأبحاث والأطروحات.

لقد عاشت الدول غير المسلمة في أتون مخالفة فطرة الله وشرع الله، ولا زالت تعيش بينما يعيش المسلمون في مجبوحة من الأمر وراحة، في سعادة أسرية ونفسية ذلك لأن الإسلام حصّ على الزواج ورغّب به، ودعا إليه، ورثّب على الزواج أجوراً كثيرة وكبيرة لا ينالها الأعزب فما هي أجور الزواج والمتزوجين؟

1— الأجر في الإنفاق على العيال:

جاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه و سلم: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»⁽⁸⁷⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»⁽⁸⁸⁾.
وقال صلى الله عليه و سلم: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»⁽⁸⁹⁾.

ومثل أحاديث الطعام والشراب أحاديث الكسوة واللباس.

قال صلى الله عليه و سلم: «ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ من الله ما دام منه عليه

(87) مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال، عن ثوبان، /994/.

(88) البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، عن أبي مسعود، /5036/.

(89) أحمد، كتاب مسند الشاميين، باب حديث المقدم بن معدي كرب الكندي، /16727/.

خرقة»⁽⁹⁰⁾.

ويقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ألا أدلكم على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة إليك ليس لها كاسبٌ غيرك»⁽⁹¹⁾.

2— الأجر في تطبيق سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم:

لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يا معشر الشباب مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج وَمَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»⁽⁹²⁾.
وقال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»⁽⁹³⁾.

وهو صلى الله عليه و سلم يقول: «في بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله.. أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»⁽⁹⁴⁾.

وفي حديث الثلاثة الذين قرروا دوام الصيام ودوام القيام وعدم الزواج معروفٌ حيث نهاهم صلى الله عليه و سلم عن ذلك، وقال: «مَنْ رغب عن سنتي فليس مني» عن أنس رضي الله عنه أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه و سلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراشي، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»⁽⁹⁵⁾.

ولذلك كان بعض الصحابة يقول: مسكين مسكين رجلٌ ليس له امرأة، قالوا: وإن كان كثير المال؟ قال: وإن كان كثير المال. مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج، قالوا: وإن كانت كثيرة المال؟ قال: وإن كانت كثيرة المال⁽⁹⁶⁾.

3— الأجر في تربية الأولاد ذكوراً وإناثاً:

فالأحاديث في هذا كثيرة، ولعلّ حديث «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة» أشهرها، وفيه «أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»⁽⁹⁷⁾، والولد الصالح لا يأتي إلا من الزواج الشرعي، ثم من التربية الصحيحة.

(90) الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفاق والورع، عن ابن عباس، /2484/.

(91) ابن ماجه، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، عن سراقه بن مالك، /3667/.

(92) مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، عن عبد الله، /1400/.

(93) مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، عن عبد الله بن عمرو، /1467/.

(94) مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، عن أبي ذر، /1006/.

(95) مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤوته، /1401/.

(96) أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، جزء 4، ص 252، عن أبي نجیح، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(97) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، عن أبي هريرة، /1631/.

ومن أحاديث ثواب تربية الأولاد، قال صلى الله عليه و سلم: «مَنْ عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»⁽⁹⁸⁾.

وفي حديث آخر: «مَنْ يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»⁽⁹⁹⁾.

4_ الأجر على تربية الزوج زوجته أيضاً، ومساعدتها على طاعة الله:

ففي الصحيحين: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» كما أنت مسؤول عن الأولاد مسؤول عن المرأة.

وفي الحديث أيضاً: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»⁽¹⁰⁰⁾.

عن أبي هريرة قال صلى الله عليه و سلم: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلت فإن أبي نضحت في وجهه الماء»⁽¹⁰¹⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليات أو صلى ركعتين جميعاً كُتِبَا من الذاكرين والذاكرات»⁽¹⁰²⁾.

5_ أجر موت الأولاد والوالد حي:

عن أبي سعيد قالت النساء للنبي صلى الله عليه و سلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار»، فقالت امرأة واثنين؟ فقال: «واثنين»⁽¹⁰³⁾.

وقال صلى الله عليه و سلم: «من قدم ثلاثة لم يبلغوا الحُلُم كانوا له حصناً حصيناً من النار» قال أبو ذر: قدمت اثنين؟ قال: «واثنين»، فقال أبي بن كعب سيد القُرَاء: قدمت واحداً؟ قال: «وواحداً.. ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى»⁽¹⁰⁴⁾. وهذا الأجر للوالد والوالدة.

وعن أنس بن مالك قال صلى الله عليه و سلم: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله الجنة بفضل رحمة الله إياهم»⁽¹⁰⁵⁾.

6_ أجر المرأة خاصة في طاعتها لزوجها:

(98) أبو داود، كتاب الأدب، باب في فضل من عال يتيماً، عن أبي سعيد الخدري، /5147/.

(99) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، عن عائشة، /5649/.

(100) كثر العمال، المجلد 16، فرع في خروج النساء للصلاة، رقم 45173 .

(101) النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل، /1610/.

(102) أبو داود، كتاب الصلاة، باب قيام الليل، عن أبي سعيد وأبي هريرة، /1309/.

(103) البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، عن أبي سعيد الخدري، /102/.

(104) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً، عن عبد الله بن مسعود، /1061/.

(105) ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، /1605/.

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» (106).

وجاء في حديثه صلى الله عليه و سلم: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (107).

هذه بعض أجور الزواج والمتزوجين، وليس ينالها رجلٌ لا زوج له، وليس تنالها امرأةٌ لا زوج لها، غير أن هناك ملاحظات خمس حول هذه الأجور:

1— إن هذه الأجور واقعة للزوج وكذلك تنالها الزوجة، إذ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.
2— إن مَنْ ساعد رجلاً على الزواج بقول أو عمل ساعده على نيل هذه الأجور، الأمر الذي ينال به هو نفسه هذه الأجور، إذ الدال على الخير كفاعله.

3— إن مَنْ بَعَّضَ إلى رجلٍ الزواج بقولٍ أو فعلٍ كان آثماً.
وقد قال بعض أهل العلم: (الغلو في المهور إذا ترتب عليه مضايقة الأكفاء وانصرافهم عن الزواج أو عجزهم عن دفع المهر، وترتب على ذلك بوار النساء، وتعرض الشباب والشابات للفساد أو نقص النسل أو غير ذلك فإن الغلو يكون محرماً بالإجماع).

وينطبق الكلام على الغلو في المهور على جميع متطلبات الزواج ومؤنّه.
4— إن هذه الأجور حاصلة لمن كانت نيته في الزواج سالحة، يعف نفسه وأهله عن الحرام وينشئ ذرية مؤمنة إذ الأعمال بالنيات.

5— إن بعض هذه الأجور يُذهبها بعض المنعصات، فأجر النفقة على الزوجة يذهب بالمن والأذى. وأجر تربية الأولاد يذهب بتركهم للطرق والإذاعات وبعدم اصطحابهم إلى المساجد بيوت الله. وهكذا..

نسأل الله أن يُزَوِّج الأعزب منا ويعين المتزوج، ويرزقنا جميعاً ذريةً سالحة طيبة تُرضي الله ويباهي بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم القيامة.

عن جابر بن عبد الله قال: قال صلى الله عليه و سلم: «ثلاث من فعلهن ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له، منها: «مَنْ تزوّج ثقةً بالله واحتساباً كان حقاً على الله أن يعينه وأن يبارك له» (108).

وعن أنس: «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليثق الله في النصف الثاني» (109).

(106) الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، /1161/.

(107) أحمد، كتاب مسند العشرة المبشرين، باب حديث عبد الرحمن بن عوف، /1664/.

(108) أخرجه البيهقي، السنن الكبرى، جزء 10، ص318، رقم الحديث /21402/.

(109) أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، جزء 4، ص252، قال: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيافوز المستغفرين.

فضل يوم عرفات

قال تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى}.

وقال: {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون}.
أوحى الله إلى سيدنا داود: «يا داود أحبني، وأحب من يحبني، وحبيبي إلى عبادي، قال داود: يا رب
إني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبك إلى عبادك؟ قال: يا داود ذكرهم آلائي وبلائي
وإنعامي»⁽¹¹⁰⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما
بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله عز وجل لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء
الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم»⁽¹¹¹⁾.

وفي حديثه صلى الله عليه وسلم: «إن من قبيل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة فلا
يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه»⁽¹¹²⁾.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن عبداً أصاب ذنباً، فقال: أي رب أذنبتُ فاغفر لي،
فقال ربه عز وجل: علمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذُ به»⁽¹¹³⁾.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت، ولا
رجل ببادية، كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم
عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قرية، ولا أهل بيت، ولا رجل ببادية، كانوا على ما ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا إلى
ما كرهت من معصيتي، إلا تحولت لهم من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي»⁽¹¹⁴⁾.
أيها الناس:

اليوم يوم عرفات.

اليوم يوم الحج الأكبر.

اليوم يقف الحجاج على ذاك الصعيد الواحد.

في مثل هذه اللحظات يجتمعون على عرفات، بلباسهم الأبيض، برؤوسهم الشعثاء، وأقدامهم المعبرة،
وقلوبهم الخاشعة، وأصواتهم الصادقة، ودموعهم المنهمرة، يرفعون الأيدي إلى رب السماء يجأرون إليه

(110) رواه ابن أبي عاصم الشيباني، كتاب الزهد ونحوه، جزء 1 ص72.

(111) أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، عن أنس، رقم /13081/.

(112) ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، عن صفوان بن عسال، رقم الحديث /4070/.

(113) أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، عن أبي هريرة، رقم /9003/.

(114) كثر العمال، للمتقي الهندي، المجلد 16، خطب النبي p ومواعظه، رقم الحديث /44166/.

بالدعاء، يرفعون إلى الله حوائجهم، يثون إلى الله أشواقهم، يشتكون إليه آلامهم، يذكرون له أحزانهم، وهو ينظر إليهم ويقبل دعاءهم.

اليوم يوم المغفرة.

اليوم يوم التوبة.

اليوم يوم الرجوع إلى الله.

ها هو ذاك المقعد الذي ارتدى لباس الإحرام وهو على كرسي قعوده ينادي ويكي الله.

ها هو ذاك الضرير ترك يد قائده ورفع يديه إلى السماء.

ها هو ذاك العجوز الذي ما كان في داره يطيق الوقوف يقف على جبل الرحمة من الزوال حتى الغروب يدعو ربه.

ها هي تلك المُسنَّة تنادي الله بدموع عينيها.

ها هم الأطفال يبكون ببكاء الكبار.

هذا يوم الدعاء.

هذا يوم الرجاء.

هذا يوم الافتقار إلى الله.

لا ملك إلا الله، لا حاكم إلا الله، لا مسيطر إلا الله.. وكُلُّ العباد تحت سلطان الله.

والله عز وجل ينظر إلى عباده الفقراء، يطلع عليهم وهم في جبل الرحمة.

يسمع دعاء مريضهم، يسمع رجاء فقيرهم، يسمع انكسار مهمومهم، يرحم بكاء عاجزهم، يرأف لضعيف شيوخهم، يقول: «يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي غرباً، أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق، فأشهدكم أيّ قد أحببت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئتهم لمحسنهم، وأعطيت لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم» (115).

نعم أيها الأخوة.. رحمة ربك خير مما يجمعون، وأكبر مما تظنون.

أشهدكم أيّ قد أحببت دعاءهم، أجاب الله دعاء التائبين، ورحم افتقار المفتقرين، وأعطى كل سائل مسألته، شفّع الصالحين بالطالحين، ووهب للعباد سيئاتهم يريد أنه سامحهم عليها.

ما أكرمك يا الله.

ما أرحمك يا الله.

فما الذي يصيب المسلمين الذين لم يتمكنوا من الذهاب إلى عرفات، إلى المشاعر المقدسة؟

خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم عشية عرفة قال: «أيها الناس إن الله قد غفر لصالحكم،

وشفّع صالحكم في طالحكم، تنزل الرحمة فتعمهم، ثم تفرق المغفرة في الأرض، فتقع على كل تائب» (116).

نعم أيها الناس تفرق المغفرة في الأرض كلها وتقع على كل تائب، اللهم إنا نتوب إليك توبةً نصوحاً، اللهم تب علينا حتى نتوب.

ويتابع صلى الله عليه وسلم خطبته يقول: «تفرق المغفرة في الأرض، فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده، وإبليس وجنوده على جبال عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم، فإذا نزلت الرحمة دعا إبليس وجنوده بالويل والثبور» (117).

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المسلمون لعلكم تفلحون، عاهدوا الله أن تتركوا الذنوب.

عاهدوه ألا تحقدوا، ألا تحسدوا، ألا تظلموا، ألا تخونوا، ألا تبطشوا، ألا تغلوا، ألا تغدروا، ألا تغشوا، ألا تباغضوا.

عاهدوه أن تذكروه، أن تشكروه، أن تطيعوه، أن تعبدوه.

لعل رحمة الله تشملنا ولعل مغفرته تكلّمنا.

أيها الأخوة:

في حجة الوداع، في السنة العاشرة للهجرة حج صلى الله عليه وسلم بالناس حجة وودع فيها المسلمين، ولم يبح غيرهما. وبعدها بأشهر قليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه.

خطب في الناس في يوم عرفات، وفي مثل هذا اليوم، في مثل هذه الساعة يقول: «الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد.. أيها الناس:

اسمعوا مني أئيب لكم، فإنني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس:

إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع.

(116) مجمع الزوائد، للهيتمي، المجلد 3، كتاب الحج، أبواب في منى وعرفة، رقم الحديث /5568.

(117) مجمع الزوائد، للهيتمي، المجلد 3، كتاب الحج، أبواب في منى وعرفة، رقم الحديث /5568.

وإن دماء الجاهلية موضوعة.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة.

أيها الناس:

إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك ما تحقرون من أعمالكم.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس:

إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق. ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة..

وإنما النساء عندكم عَوَانٍ (أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، لا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس:

إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

فليبلغ الشاهد منكم الغائب..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (118).

في هذا اليوم أيها الأخوة: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}.

نعم فقد كمل الدين وتَمَّتْ نعمة الله على بني آدم ببعثه رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم وتبليغه دين الإسلام إلى الناس.

فهذا هو الإسلام حسن علاقةٍ مع الله بالتوبة والإنابة.

وحسن علاقة مع الناس بأداء الأمانات وحفظ الدماء والأحوال والأعراض.

هذا هو الإسلام:

عِفَّةٌ عن الخطايا والسيئات، وَعِفَّةٌ عن الربا والفحش والمال الحرام.

هذا هو الإسلام:

أداء الحقوق لأهلها رجالاً كانوا أو نساءً.

هذا هو الإسلام:

إنسانٌ فاضلٌ وأسرةٌ فاضلةٌ ومجتمعٌ فاضلٌ.

قال صلى الله عليه و سلم: «يقول تعالى في الحديث القدسي: يا ابن آدم إنك ما دعوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقراها مغفرة»⁽¹¹⁹⁾. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

الفهرس

النظافة

بضاعة المغفرة

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم

الوقت

فضل شهر رمضان

ما بعد رمضان

دعوة إلى الزواج

فضل يوم عرفات